

المساجد الريفية بقرى منطقة جباله - دراسة أثرية -

Rural Mosques in The Villages of DJabalalah – an Archaeological Study

بلال صارة¹، ريمة حدون²

¹جامعة قسنطينة 02- عبد الحميد مهري، sara.belal@univ-constantine2.dz

²جامعة قسنطينة 02- عبد الحميد مهري Rima.hadoune@univ-constantine2.dz

تاريخ النشر 2024/04/17

تاريخ القبول 2023/12/27

تاريخ الإستلام 2022/12/08

الملخص

يهدف هذا البحث الى دراسة نماذج من المساجد الريفية بمنطقة جباله التابعة إداريا لولاية تلمسان حيث عالجنا فيها اهم الخصائص المعمارية والفنية التي تميز هذه المساجد من موقعها الجغرافي ومخططها وتصميمها العام وكذا مواد وتقنيات البناء بها، والوقوف على حالتها الراهنة مع تقديم جملة من الاقتراحات والتوصيات التي يمكن من خلالها الحفاظ عليها وإعادة تأهيلها.

معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي والتحليلي لتحقيق النتائج المرجوة، لنخلص في الأخير إلى أن التصميم العام لهذه المساجد اتسم بالبساطة المعمارية والزخرفية، وقد أثرت فيه عوامل بيئية واجتماعية واقتصادية.

الكلمات مفتاحية: القرى الريفية -المساجد الريفية - المصليات - منطقة جباله - دراسة أثرية

Abstract

This research aims to study models of rural mosques in the DJabalalah region of the State of Tlemcan, where we have addressed the most important architectural and artistic characteristics that distinguish these mosques from their geographical location and their general design plan, as well as the materials and techniques of building them, and to determine their current status, while providing a number of suggestions and recommendations through which they can be preserved and rehabilitated.

Based on a descriptive and analytical approach to achieving the desired results, let us conclude that the general design of these mosques was characterized by architectural and decorative simplicity, affecting environmental, social and economic factors.

Keywords: Rural villages - rural mosques - chapels -Jabalalah region - archaeological study.

مقدمة

تعتبر العمارة الدينية من أهم العمائر الإسلامية سواء في المراكز والمدن الحضرية أو في القرى الريفية، ويعد المسجد أحد أهم رموز هذه المعالم الدينية فهو جوهر المدينة الإسلامية ومركزها المهم، كما يعتبر أيضا القلب النابض للقرية، نظرا لمكانته الخاصة في تسيير شؤون سكان القرية الدينية والدنيوية، وهذا ما يفسر تمسكهم الكبير بمساجدهم، ففيها يقيمون الصلاة ويتعلمون القرآن وبها يفصلون في قضاياهم وشؤونهم، وينظمون أمور حياتهم داخل محيطهم الصغير. ومن الناحية المعمارية تتميز هذه المساجد الريفية ببساطتها، فهي تعتمد على مواد البناء المتوفرة بالمنطقة، حيث استطاع المعمار المحلي أن يشكل نمطا معماريا خاصا يتكيف مع البيئة المحلية والظروف الطبيعية، فهي ليست ضخمة أو فخمة كمساجد المدينة، لأن معظمها صغيرة ومخصصة للصلوات الخمس فقط، كما أولى سكان القرية اهتماما خاصا بتحديد موقعها الذي غالبا ما يكون في مقدمة القرية أو على أطرافها، عكس مساجد المدينة التي تكون في المركز، وذلك حرصا على توفير الخصوصية والأمن لسكان القرية.

وتعتبر منطقة جباله التابعة إداريا لبلدية ندرومة ولاية تلمسان من أغنى المناطق بالمساجد والمصليات الريفية الصغيرة، فقد كانت في سالف زمانها مركزا هاما لأربعة فروع من قبيلة زناتة الكبرى: كمتيلة ومسيقة، العيون، وزاوية اليعقوبي، وكل منها ضم مجموعة قرى ومدامر لا تكاد تخلو من هذه المساجد، حيث لازال البعض منها يزاول وظيفته الدينية، والبعض الآخر أصبح أطلالا شاهدة على الحقب الزمنية الماضية.

وتتمثل أهمية هذا البحث في تقديم معطيات عن العمارة المسجدية الريفية في هذه المنطقة من خلال دراسة بعض النماذج وتصنيفها ضمن الطراز المعماري الذي يميزها، لذلك فقد عالجنا الإشكالية التالية: ما هي المميزات المعمارية والفنية للمساجد الريفية بمنطقة جباله؟

وللإجابة عن هذا التساؤل تطرقنا إلى موقع هذه المساجد، ومخططاتها العامة، وخصائصها المعمارية المشتركة، وحالتها الراهنة، ومدى إمكانية مقاومتها للعوامل المختلفة في ظل غياب التدخلات الإنقاذية.

الهدف من الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمنطقة جباله، التي سجلت حضورها عبر مختلف الحقب التاريخية لإقليم تلمسان، والوقوف على عمارة مساجدها الموجودة في القرى والأرياف، كما نود لفت نظر الباحثين المختصين للتراث المعماري لهذه المنطقة التي تقتدر للدراسات الأكاديمية.

مناهج البحث:

اتبعنا في دراسة هذا الموضوع منهجين اثنين هما: الأول المنهج الوصفي لإبراز الحالة الراهنة للمساجد وعناصرها المعمارية، والثاني المنهج التحليلي الذي استخدمناه في دراسة العلاقة المشتركة بين العناصر والوحدات المعمارية المختلفة، ومواد البناء.

ولمعالجة المشكلة المطروحة قمنا بتقسيم هذه الدراسة الى ثلاثة محاور أساسية وهي:

المحور الأول: تمثل في إعطاء لمحة تاريخية عن منطقة جبالة، وذكر موقعها الجغرافي والفلكي، وأصل التسمية، وكذا الأصول التاريخية للمنطقة.

المحور الثاني: خصصناه لدراسة نماذج من العمارة المسجدية في منطقة جبالة ومميزاتها المعمارية.

المحور الثالث: تطرقنا فيه الى تحليل المعطيات الخاصة بعمارة هذه المساجد، من خلال اختيار الموقع والمخطط العام لها ومحاولة تصنيفها وتنميطها حسب كل مميزاتها وخصائصها المعمارية.

1-المعطيات الجغرافية والتاريخية لمنطقة جبالة.

1-1- الموقع الجغرافي والفلكي:

بلدية جبالة التابعة إداريا لولاية تلمسان، دائرة ندرمة وهي تقع غرب الولاية وتبعد عنها بحوالي 80 كلم، ويحدها شمالا بلدية تياننت والسواحلية، وجنوبا مغنية وحمام بوغرارة، وشرقا ندرومة وعين الكبيرة، أما غربا فيحدها باب العسة والسواني، وتتربع على مساحة 115 كلم¹.

أما فلكيا تقع بين خطي طول 23 42 1'47 شمالا و 35.12 34.58 غربا، وترتفع عن سطح البحر بـ 639م². تتميز المنطقة بمناخ متوسطي³، وهي ذات تضاريس وعرة يغلب عليها الطابع الجبلي، تعبر عليها جبال ترارة* من الشمال إلى الجنوب، و يعد جبل طوماي أعلى قمة بها حيث يرتفع على مستوى سطح البحر بـ 994م بالإضافة إلى جبل زكري وجبل مسهل، كما تحتوي على منحدرات جعلت منها منطقة محصنة طبيعيا، كما تتوفر على مجموعة من الوديان أهمها: واد الطأйма الذي يمر على الجزء الغربي لترارة، وواد العيون الواقع بترنانة، وواد مسيفة، وواد الدواير، وواد ساكة، إلا أن معظمها جف في الآونة الأخيرة بسبب ندرة التساقط، كما تتوفر على عيون كثيرة مثل: عين مسيفة، وعين الحجر، وعين الحواطة، وعين تيملحت.

¹ توفيق بوزناشة ، دليل لـ لجهورية ، ط1، ج2، ناكوهي ، 2015، ص:135

² google earth

³ توفيق بوزناشة، المرجع السابق، ص135

* تتربع ترارة على مساحة 1500 كل م2، عربت في القرن 6هـ وهي منطقة حدودية مع قبائل بني يزناسن، تتكون من مسيدة، سواحلية وجباله.



111

وهفانة وفراتة، ومن بني يلول مسيفة ووتيوه وهيورة ووالغة، ومن صغارة ماتيلة وبنوا حياسة ...، وكانت مواطن كومية بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشقول وتلمسان وكان لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة وصاروا من أعظم قبائل الموحدين".⁶

واستنادا لما ذكره ابن خلدون، فإن منطقة جباله تشكلت من قبيلتين مهمتين هما: قبيلة بني يلول والتي انحدرت منها مسيفة، وصغاره التي انشقت منها ماتيلة (قرية الحوانت وضواحيها حاليا)، وكانت منطقة جباله تنقسم إلى أربع فروع لهذه القبيلة وهي: ماتيلة ومسيفة والعيون وزاوية اليعقوبي⁷، حيث ساهمت هذه الفروع في إثراء الجانب التاريخي والأثري بها، لما خلفته من قرى ومدامر عمرت طويلا وخلقت مجموعة مميزة من العمران الريفي، كالعامة المسجدية، التي سنتطرق إلى البعض من نماذجها في المحور الموالي.

1-5- العامة المسجدية الريفية في منطقة جباله: تعتبر المساجد من أهم المرافق الدينية في القرى الريفية كما سبق الذكر، ففيها يؤدي ساكن القرية صلاته ويتعلم أمور دينه ودنياه ويفصل فيها بين القضايا وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويعد سكان الريف أكثر ارتباطا بمساجدهم كونها كانت ملجأهم الوحيد لكل أمورهم وقضاياهم المختلفة، لذا كانوا يولون لها اهتماما خاص يتجلى في التضامن في بنائها وتخصيص الأحباس لها والقيام بجمع الأموال من أجل ترميمها إذا تعرضت لعوامل التلف والتخريب.⁸

والمساجد الريفية بمنطقة جباله هي الأخرى تخضع لنفس معايير مساجد القرى والارياف، حيث كان لها دور كبير في تسيير أمور المنطقة وضبط شؤونها المختلفة، إذ كانت هذه المساجد عبارة عن مصليات بسيطة بنيت من مواد محلية أساسها الحجارة إضافة إلى خلوها من العناصر الزخرفية، يحيط بها كتاتيب كمدارس لتعليم القرآن الكريم ومختلف العلوم الأخرى، وكان البعض منها قبلة للطلبة الذي يريدون تعلم أصول الفقه، حيث تتلمذ فيها الكثير من الفقهاء والعلماء وحتى الأدباء وقد شهد البعض منها إقبال كبير من الوافدين من المدن الأخرى للدراسة وتعلم القرآن وأحكامه، وغالبا ما كانت مساجد القرى الريفية في المنطقة تتقدم القرية أو الدشرة وذلك من أجل الحفاظ على خصوصية أهل القرية من عابري السبيل الذين كانوا يتخذون هذه المساجد منزل لهم، وكذا تحقيق الغرض الأمني بها لاسيما أن الصراعات كانت متكررة وقائمة بين قبائلها كقبيلة مسيفة وماتيلة .

⁶ عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، دار ابن حزم ،بيروت، لبنان، 1426هـ، 2011م، ص2419

⁷ René Basset, *Nedroma Et Les Traras* , Emest Lercux , paris, 1901, 47 p: 46

⁸ محمد رابح فيسة ، العمران الريفي في منطقة بني سنوس - تلمسان - دراسة تاريخية أثرية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر 02 ، 2013-2014، ص : 54

وفي دراسة إحصائية قام بها الباحث رونييه باصيه سنة 1910 م، فإن عدد المساجد في منطقة جبالة فاق 23 مسجد او
مصلى كما هو موضح في الجدول أدناه:

ماتيلة	مسيقة	العيون	زاوية اليعقوبي
مسجد الحوانت القديم	المسجد الكبير	مسجد دار الناصر	مسجد سيدي عبد الرحمان
مسجد الجرف (اقدام من	مسجد أولاد مزيان	مسجد باب الدشر	اليعقوبي
مسجد الحوانت)	مسجد أولاد بوكمه	مسجد محمد العربي	مسجد سيدي ابن عبد الله
مسجد الحواطة	مسجد أولاد الرياح	مسجد أولاد علي	
مسجد بوسردون	مسجد تارنانة	مسجد بوهارون	
مسجد أولاد العباس	مسجد أولاد المختار	مسجد العجايجة	
مسجد أولاد طالب	مسجد سيدي بولجرف (كريكر)	مسجد el arous	

الجدول رقم 01: يوضح ترتيب المساجد في فروع منطقة جبالة
المصدر: René Basset ;Nedroma et les traras

وقد كانت هذه من الاسباب التي أدت بنا للاهتمام بها ودراستها واخراجها من النسيان قبل أن تتدثر كليا، والجدول الموالي
يوضح بعض النماذج من المساجد المختارة لهذه الدراسة متوزعة حسب كل قبيلة:

ماتيلة	- مسجد الجرف - مسجد أولاد طالب - مسجد أولاد العباس
مسيقة	- مسجد مسيقة - مسجد كريكر
العيون	- مسجد العيون - مسجد دار الناصر

الجدول رقم 02: يوضح المساجد في فروع منطقة جبالة
المصدر: إنجاز الباحثة

2- نماذج من المساجد الريفية بمنطقة جبالة.

1-2-مسجد الجرف:

الموقع الجغرافي: يقع مسجد الجرف أو جامع الجرف كما هو متداول عند اهل المنطقة، فوق هضبة صخرية مرتفعة ويحتل موقع استراتيجي هام حيث يطل على البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية الغربية وعلى جبال المغرب الأقصى من الجهة الجنوبية الغربية ويرتفع عن سطح البحر حوالي 700 م، أما فلكيا فينحصر بين خطوط الطول 01 37 58 °34 شمالا، ودوائر العرض 46 36 47 1° غربا.

أ-أصل التسمية: سمي بمسجد الجرف نسبة إلى الموقع الذي شيد فيه وهو الجبل أو الجرف باللغة العامية، اما تاريخ انشاء هذا المسجد فلا توجد أي وثيقة أو نقيشة تذكر تاريخ تأسيسه إلا ما تشير إليه الروايات الشفوية والتي تختلف من شخص إلى آخر فمنهم من يرى أنه بني في الفترة العثمانية والبعض يرى أنه شيد من طرف أهالي المنطقة كعائلة منصورى بحكم أنهم أول من سكنوا هناك.

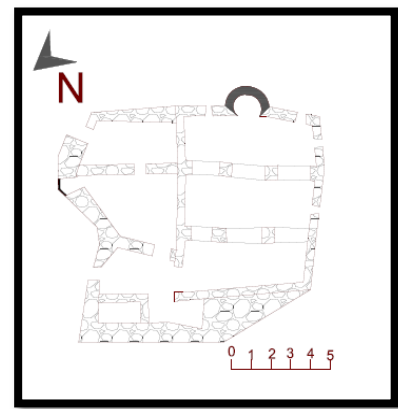
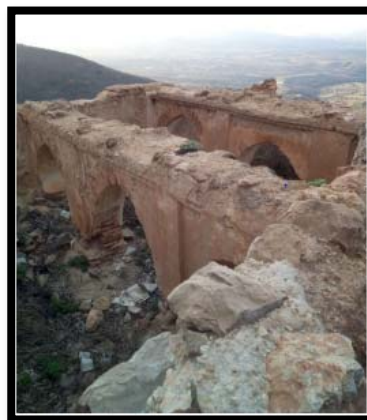
ب-الوصف العام للمسجد: من الخارج يحتوي مسجد الجرف على أربع واجهات، الواجهة الرئيسية هي الواجهة الشمالية الشرقية ويبلغ طولها 11.36م، يقع بها المدخل الرئيسي للمسجد، أما الواجهة الجنوبية الشرقية وهي جهة القبلة فيحدد طولها بحوالي 11.49م، ويظهر بها بروز المحراب الى الخارج، أما طول الواجهة الجنوبية الغربية فتبلغ 8.65م، ويبلغ طول الواجهة الشمالية الغربية وهي الجهة الأكثر انحدارا حوالي 11.48م، وما يمكن ملاحظته هو خلو واجهات المسجد من العناصر الزخرفية. ويتم الدخول الى المسجد عبر مدخل بسيط يقع في الركن الأيمن للواجهة الشمالية الشرقية، تخطيط بيت الصلاة شبه مستطيل يقدر طول جدارها الشمالي الشرقي 8.72م، والجنوبي الغربي 7.75م، والشمالي الغربي 6.68م، أما الجدار الجنوبي الشرقي فيقدر بـ 8.42م ويتوسطه المحراب المجوف بحنية نصف دائرية داخل إطار خال من الزخرفة يعلوه عقد نصف دائري متجاوز، ويفصل بين البدن وفتحة المحراب شريط من الآجر، ويقطع القاعة 3 بلاطات موازية على جدار القبلة و3 أساكيب عمودية عليها، ترتكز هذه البلاطات والأساكيب على بائكتان من العقود. ويحيط ببيت الصلاة قاعتان: الأولى تمثل بيت الإمام والثانية قاعة الطلبة.

ج-التدخلات المعمارية.

ج-1-التدخلات العشوائية:

العناصر المزالة	- السقف - الواجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة - الأعمدة الخشبية التي كانت تتوسط غرفة الإمام وقاعة الدروس
العناصر المضافة	-السبائك الحديدية في الجدار الذي يحمل البوائك - الإسمنت بكمية قليلة جدا في بعض الأماكن

ج-2- أعمال الترميم: لا توجد أعمال ترميم.



الصورة رقم 03: منظر خارجي لمسجد
أولاد طالب
المصدر: إنجاز الباحثة

الصورة رقم 02-01- منظر خارجي
وداخل لمسجد الجرف
المصدر: إنجاز الباحثة

مخطط رقم 01: المسقط الأرضي
لمسجد الجرف
المصدر: إنجاز الباحثة

2-2 مسجد أولاد طالب: الموقع الجغرافي: يقع مسجد أولاد طالب في الجهة الجنوبية الشرقية من قرية أولاد طالب التي كانت تابعة لفرع ماتيلة، ويبدو أنه اتخذ هذا الاسم نسبة الى عائلة طالب التي استوطنت القرية، أما فلكيا فينحصر بين خطوط الطول "3° 58' 93" شمالا، وبين دوائر عرض "44° 18' 1° غربا.

أ- تاريخ الانشاء: ويجهل تاريخ إنشاء هذا المسجد حيث يرجح أهل القرية أنه وجد قبل الاستعمار الفرنسي، إلا أنه كان قد فقد جزءاً من سقفه، وفي سنة 1965م قام سكان القرية بتجديد سقفه مع ترك جزء من سقفه الأصلي الذي يعلو المحراب، وفي سنة 2004م رمت جدرانه وصبغت بالطلاء الحديث، ورممت الكتابات القرآنية التي كانت تقابله، وهو الآن وقف له وثائقه الخاصة.

ب- الوصف العام للمسجد :

يتسم المسجد بالبساطة من الخارج، حيث لا تظهر منه إلا الواجهة الشمالية التي بها بروز المحراب، ومدخله محصورا داخل إطار مقوس بعقد نصف دائري محمول على أعمدة مركبة تنتهي بتاج، أما الجزء العلوي من الإطار فهو مزخرف بزخارف هندسية على شكل معينات، ويحيط بالمدخل قطع من الزليج ذو زخارف نباتية وهندسية، ويعلو المدخل ضلة محمولة على سبائك حديدية، أما جزؤه العلوي فينتهي بشرفات مسننة بها زخارف نباتية وهندسية. ويقابل المسجد خرابيش كانت تستعمل لحفظ القرآن الكريم وتعليم الطلبة، هي الأخرى بسيطة بها مداخل ونوافذ تشرف على صحن المسجد كما هي موضحة في الصورة رقم 04.

أما من الداخل فيتم الولوج إلى المسجد عبر مدخل طوله حوالي 2 م وعرضه 1.18م، يصلنا مباشرة ببيت الصلاة الذي ننزل إليها عبر مصطبة يبلغ سمكها حوالي 0.20م، وتتخذ قاعة الصلاة مخطط غير منتظم الشكل يتراوح طوله ما بين 4.85م و4.90م، تتوسطه بانكة تحمل أربعة عقود منكسرة متجاوزة تختلف قياساتها، محصورة داخل إطارات تخلو من الزخرفة باستثناء العقد الذي يقابل المحراب وهو أوسعهم نجده داخل إطارين في شكل إفريز، ويتوسط المحراب الجدار الشمالي إذ نجده منحرف قليلا عن جهة القبلة، ومجوف بحنية نصف دائرية، يعلوه عقد منكسر متجاوز محصور في إطار بارز تتخلله زخارف هندسية في الجزء العلوي ومن الجانبين.

وبخصوص سقف المسجد فقط سقف بأقبية نصف برميلية لكنها مستحدثة، فالأصل في التسقيف كان من مادة الخشب ولا زالت بعض أثاره موجودة في الجزء الذي يعلو المحراب.

ج-التدخلات المعمارية.

ج-1: التدخلات العشوائية:

العناصر المزالة	- السقف الأصلي للمسجد
العناصر المضافة	- المدخل المزخرف والظلة التي تعلوه - الشرافات التي تعلو الجدران الخارجية للمسجد - الطلاء الأبيض الموجود على مستوى الجدران الداخلية والخارجية - استحداث نافذة في الجدار الجنوبي للمسجد - اسلاك الكهرباء والمدفأة والمكيف بالإضافة إلى الثريات التي تتدلى من السقف

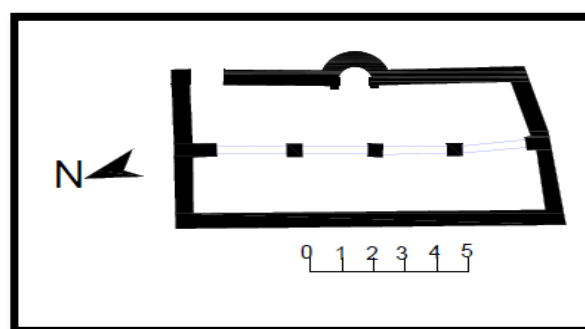
ج-2 - أعمال الترميم:

- سنة 1965م: أعيد بناء السقف.

-سنة 2004: تم طلاء المسجد والخرابيش المحيطة به.



الصورة رقم 04: منظر للكتاتيب القرآنية بمسجد أولاد طالب
المصدر: إنجاز الباحثة



مخطط رقم 02: مسقط افقي لمسجد أولاد طالب
المصدر: إنجاز الباحثة



الصور رقم 05-06: منظر خارجي وداخلي لمسجد أولاد طالب
المصدر: إنجاز الباحثة

2-3-مسجد أولاد العباس: الموقع الجغرافي: يقع مسجد أولاد العباس في قرية أولاد العباس التابعة لماتيلية، ويتخلل أقصى الجهة الشمالية منها، اما فلكيا ينحصر بين خطوط الطول $34^{\circ}57'57''.83$ شمالا وبين دوائر العرض $1^{\circ}47'80''.37$ غربا.

أ- **تاريخ الانشاء:** يعد هذا المسجد العتيق بأولاد العباس من بين أقدم المساجد في جباله حيث تعود فترة تأسيسه الى 1833م، وهو حاليا مدمج داخل المسجد الجديد في القرية.⁹ وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة أولاد العباس التي استوطنت القرية، كما تذكر بعض الروايات أن المسجد كان قبلة لطلاب العلم حيث كانوا يتوافدون عليه من داخل الوطن وخارجه¹⁰. وقد درس فيه كثير من العلماء والفقهاء لعل أبرزهم: الشيخ أحمد العربي والحاج لخضر منصوري والسي أحمد مجاهدي والسي صالح يوسف والسي أحمد بن علي من السواحلية..... الخ .

ب- الوصف العام للمسجد:

فقد المسجد منظره الخارجي، وللأسف لا يمكن رؤية واجهاته الخارجية الأصلية لأنها أصبحت مدعمة بجدران حديثة ملبسة بالإسمنت. ويتم الدخول إليه عبر مدخل تتخلله باب خشبي ذو مصراعين، ويتخذ بيت الصلاة مخططا مستطيل الشكل يبلغ طوله 10م وعرضه 4.41م، أما ارتفاعه فحوالي 3.50م، ويبدو بسيطا خاليا من الزخارف إلا الطلاء الذي صبغ به مؤخرا، ويتوسط المحراب جدار القبلة حيث يتخذ هذا الأخير شكل المضلع عمقه حوالي 0.9م وعرضه 0.91م وارتفاعه حوالي 2.43م، أما طول أضلاعه فتتراوح ما بين 0.23م و0.65م.

⁹ - إبراهيم بن عبد المؤمن ، جمعية روافد للبحث في التاريخ والتراث لبلدية جباله ، 30 جانفي 2015.

¹⁰ - مقابلة شفوية مع: إمام المسجد يوم: 15-02-2020 على الساعة 11.30 صباحا.

وبالنسبة للتسقيف فقد سقف بعوارض خشبية مصنوعة بتقنية السنبلة تدعمها سبائك حديدية أضيفت أثناء عملية الترميم.

ج- التدخلات المعمارية:

ج-1 - التدخلات العشوائية:

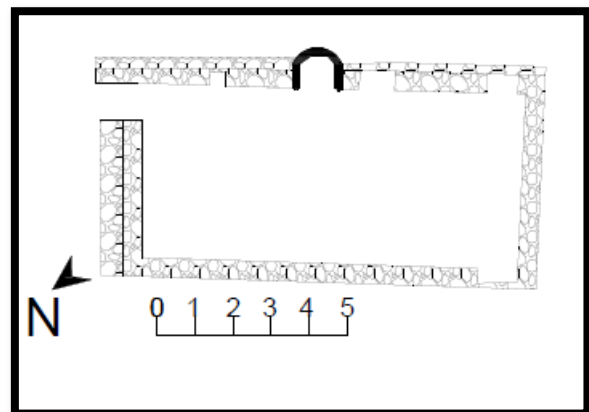
العناصر المزالة	- الغرف المحيطة ببيت الصلاة - المدخل الأصلي. - النوافذ المطلة على الخارج .
العناصر المضافة	-الجدران الخارجية الحديثة -السبائك الحديدية الحاملة للسقف الخشبي - الثريا والمروحية التي تزين المسجد - قطع الزليج المحيطة بالمحراب والشريط الكتابي الذي على يساره الحامل كتاباً " لا إله إلا الله محمد رسول الله - الطلاء الذي يكسو الجدران بالإضافة إلى أسلاك الكهرباء .

ج-2 - أعمال الترميم:

1936: رمم واستحدث سقفه الجديد / 1963: أعيد ترميمه للمرة الأخيرة



الصورة رقم 07: قاعة الصلاة بمسجد أولاد العباس
تصوير الباحثة



مخطط رقم 03: مسقط أفقي لمسجد أولاد العباس
انجاز الباحثة

2-4-مسجد مسيفه: يقع مسجد مسيفه فوق هضبة جيوية مرتفعة نصل إليها عبر طريق صعب غير معبد، ويحتل الجهة الجنوبية الشرقية من القرية وينحصر فلكيا بين خطوط الطول 75. 4556 °34، ودوائر العرض "49'28.4°1 غربا

أ- **تاريخ الانشاء:** يرجح أنه بني سنة 1783م¹¹.

ب- **الوصف العام للمسجد:**

أول ما يصادفنا في هذا المسجد هو الواجهة الرئيسية له التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية، التي يتخللها المدخل المعقود بعقد مفصص داخل إطار خالي من الزخرفة بابه خشبي ذو مصراعين، أما باقي الواجهات فهي بسيطة.

قاعة الصلاة عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل طولها 11م وعرضها 4م، تحتوي على نوافذ مطلة على الخارج، ويتوسط المحراب جدار القبلة مجوف يعلوه عقد مفصص داخل إطار مربع خالي من الزخرفة، وعلى يمين المحراب يتواجد المنبر الخشبي محصور في إطار تعلوه عقود يصعد إلية عبر ثلاث درجات وينتهي بدرجة كبيرة يعلوها إطار خشبي يحمل بعض الزخارف. أما سقف المسجد فهو مسقف بأقبية نصف أسطوانية تتدلى منها ثريا حديثة.

ج- **التدخلات المعمارية:**

ج-1 - **التدخلات العشوائية:**

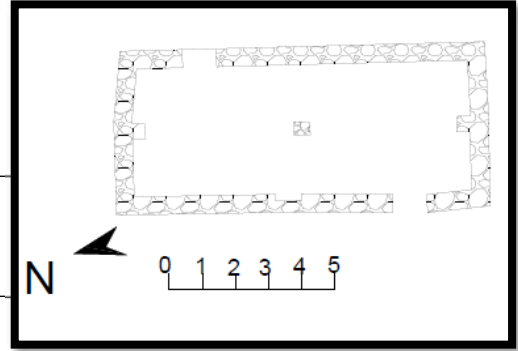
العناصر المزالة	- إزالة السقف الأصلي للمسجد
العناصر المضافة	- استحداث السقف - تلبيس جدران المسجد بالأسمنت المسلح - تبليط أرضية المسجد بالزليج - طلاء الجدران بالصباغة الحديثة - إضافة المنبر الخشبي

ج-2- **أعمال الترميم:** رمم المسجد سنة: 2008 م



11- مقابلة شفوية مع: السيد بودور محمد يوم: 2020/07/02

الصورة رقم 08: منظر خارجي لمسجد مسيفه
تصوير الباحثة



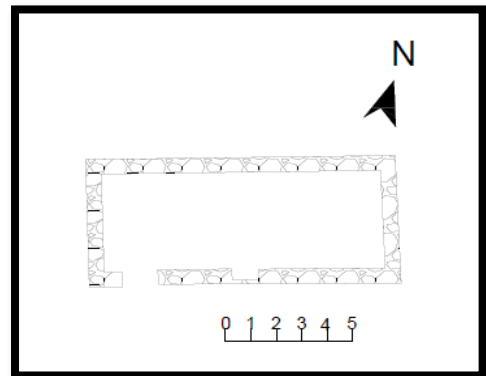
2-5 -مسجد كريكر (سيدي بولجرف): يقع مسجد كريكر أو مسجد

بُولْجَرْف كما ذكره روني باصي في دشرة كريكر وهي إحدى المداشر التابعة لفرع لعيون، ويتوسط المسجد هذه القرية حيث تحيط به المنازل من جهة ويقابله منحدر الواد من الجهة المقابلة له. وينحصر بين خطوط الطول $34^{\circ}57'40''$ شمالا وبين دوائر العرض $1^{\circ}49'26''$ غربا.

أ- **تاريخ الانشاء:** لا نملك تاريخ محدد لإنشاء هذا المسجد، لكنه ذكر من طرف روني باصي باعتباره من المعالم التي كانت موجودة في المنطقة قبل 1910م.¹²



الصورة رقم 08: منظر خارجي لمسجد كريكر
تصوير الباحثة



مخطط رقم 05: مسقط افقي لمسجد كريكر
انجاز الباحثة

ب-الوصف العام للمسجد:

يتميز المسجد بالبساطة من الخارج، تظهر فقط النافذة الخارجية في الجهة الجنوبية الشرقية.

نلج إلى المسجد عبر مدخل فقد جل أجزائه يؤدي بنا إلى ساحة غير منتظمة الشكل تحيط بها غرف جلها أطلال، أما بيت الصلاة فيقع في الجهة الجنوبية الشرقية من هذه الساحة المكشوفة، يبلغ ارتفاع مدخله حوالي 2 م، وهي عبارة عن

¹²Rène Basset, Op Cit, p: 52

قاعة بسيطة مستطيلة الشكل طولها 10م وعرضها 3.89م تتوسطها ثلاث دعائم حجرية مربعة الشكل، ويتخلل جدران المدخل كوة ارتفاعها 0.80م وعرضها 0.50م، ونافذة تقع في الجدار المقابل للمدخل تطل إلى الخارج.

سقت قاعة الصلاة بعوارض خشبية مختلفة أسطوانية ومستطيلة يدعمها القصب وسبائك حديدية حديثة أضيفت أثناء إصلاح المسجد.

ج- التدخلات المعمارية:

ج-1 التدخلات العشوائية:

العناصر المزالة	- أبواب ونوافذ المسجد - الغرف المحيطة ببيت الصلاة - انهيار جزء من السقف - المدخل الثاني لبيت الصلاة الذي يطل على الشارع مباشرة
العناصر المضافة	- العوارض الخشبية والسبائك الحديدية المستطيلة في بيت الصلاة

ج-2 - أعمال الترميم: //

2-5 مسجد العيون: يقع مسجد العيون في قرية العيون ويحتل الجهة الشمالية منها، موقعه حصين فوق هضبة صخرية مرتفعة يصعد إليه عبر ممر ضيق يزيد اتساعا عند الاقتراب من المسجد، ويتقدم المسجد طاحونة حجرية ومجموعة من الغرف كانت تستغل لأغراض مختلفة، ويحصر بين خطوط الطول "41 20 56. 34° شمالا، وبين دوائر عرض 17 45. 1° غربا، يرتفع عن سطح البحر بـ 632 م

أ- أصل التسمية: التسمية الأصلية للمسجد هي مسجد لالة رحمة، وهي امرأة صالحة كانت تأخذ المرضى الذين يفقدون بصرهم بجوار هذا المسجد وتزرع عشبة وتقوم بتقطيرها في أعينهم فيأتي الشفاء من الله على يدها، وبمرور الزمن شيد مسجد آخر بجوار مسجد لالة رحمة وسمي بمسجد العيون فأصبحت التسمية تطلق على كلتا المسجدين.

أ-تاريخ الانشاء: حسب ما تذكره الروايات الشفوية بالمنطقة فإن المسجد بني في فترة قديمة جدا تتجاوز مدتها قرن من الزمن، وتذكر بعض الآراء الأخرى أنه قد شيد في الفترة العثمانية كون أن الأهالي في هذه القرية قد عارضوا الحكم العثماني وربما احتموا بذلك الموقع الحصين وشيدوا مسجدهم الخاص بهم. تعرض المسجد للتخريب والحرق من طرف جماعة متعصبة حيث فقد خلالها سقفه أجزاء منه بالإضافة إلى سقوط سقفه الذي كان مشيد من خشب العرعر.

ب-الوصف العام للمسجد:

أول ما يصادفنا عند الوصول إلى المسجد هو الواجهة الشمالية الغربية وهي واجهة المدخل، تحتوي على جدار داعم يبلغ سمكه 0.35م، أما باقي الواجهات فهي بسيطة تضم نوافذ صغيرة مربعة الشكل.

يحتوي المسجد على مدخل واحد منكسر تعلوه قطعة خشبية، وبيت الصلاة شبه مستطيل غير منتظم تتخلله دعامات مصمتة في الجدار الشرقي والغربي، ويضم 3 كوات مختلفة الاحجام في الجدار الشمالي الغربي، أما المحراب فيتوسط الجدار الجنوبي الشرقي مجوف بحنية نصف دائرية مسقفه بقطعة حجرية مستطيلة، يبلغ ارتفاعه حوالي 1.80م وعرضه 0.32م يخلو من أي عنصر زخرفي. فقد هذا المسجد سقفه الخشبي بسبب العوامل الطبيعية والبشرية.

ج- التدخلات المعمارية:

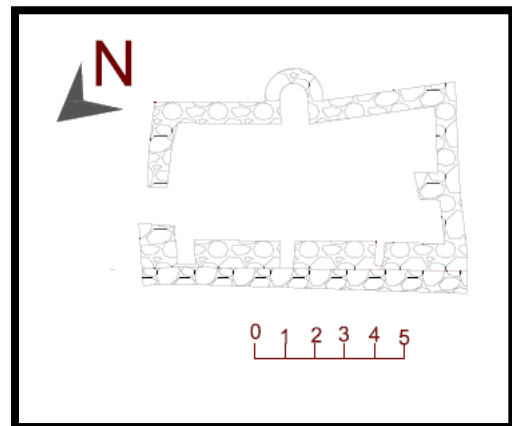
ج-1- التدخلات العشوائية:

العناصر المزالة	- السقف الأصلي للمسجد - الباب الخشبي للمسجد - الدعامات الخشبية التي كانت تتوسط المسجد
العناصر المضافة	- إضافة جدار حديث من الاجر والاسمنت في الجدار الذي يقطع المدخل - تلبيس الجدران الخارجية بالأسمنت - إضافة مسجد مستحدث بجانب المسجد العتيق

ج-2- أعمال الترميم: رم سنة 2004.



الصورة رقم 09: منظر خارجي لمسجد العيون
تصوير الباحثة



مخطط رقم 06: مسقط افقي لمسجد العيون
المصدر: إنجاز الباحثة

2-6 -مسجد دار الناصر: يقع مسجد دار الناصر في قرية أولاد الناصر التابعة لمنطقة العيون، ويحتل الجزء الجنوبي الشرقي من مقدمها، يحاذيه مسجد آخر من الجهة الجنوبية الشرقية بني عندما بدأ هذا المسجد بالتلاشي والانحيار. ينحصر بين خطوط الطول 41. 20. 56° 34 شمالا وبين دوائر العرض 17. 45' 49° 1 غربا، ويرتفع عن سطح البحر 632م.

أ- تاريخ الانشاء: //

ب -الوصف العام للمسجد.

من الخارج لا يمكن رؤية الواجهات الخارجية للمسجد، كل ما يظهر هو المدخل الذي تدعمه عوارض خشبية من الجانبين.

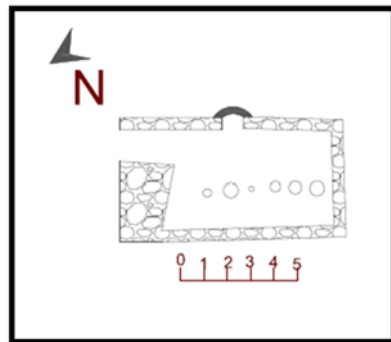
وهو من الداخل عبارة عن قاعة صغيرة مستطيلة الشكل يبلغ طولها 9.04م وعرضها 4.05م، يتخلل جدرانها الجنوبي الشرقي محراب مجوف قليلا ملبس بالجير الأبيض، تحاذيه كوة مربعة الشكل كانت مخصصة لوضع الشموع، ويتوسط المسجد دعائم خشبية على شكل Y يبلغ عددها 6 وهي على أحجام مختلفة. ولا يزال يحتفظ بسقفه الخشبي الذي يغطيه طراح النخيل والطين الممزوج بالتبن وبعض الأغصان الصغيرة.

ج-التدخلات المعمارية:

ج-1 - التدخلات العشوائية

العناصر المزالة	- الباب الخشبي الخاص بالمدخل
العناصر المضافة	لا يوجد

ج-2- أعمال الترميم: //



مخطط رقم 07: مسقط افقي لمسجد دار الناصر
المصدر: إنجاز الباحثة

03-الدراسة التحليلية.

سنوضح في هذا المحور أهم خصائص ومميزات المساجد الريفية بقرى منطقة جبالة ومختلف العوامل المؤثرة فيها، سواء من حيث موقعها وتصميمها العام والوحدات والعناصر المعمارية أو مواد بنائها.

أ- **الموقع:** هذه المساجد عبارة عن مصليات صغيرة تقع فوق هضبات مرتفعة، وهذا نتيجة طبوغرافية المنطقة الجبلية الوعرة مثل ما هو موضح في الصور الجوية للجدول رقم 03 لتحتل بذلك موقعا استراتيجيا مهما، مما جعلها تؤدي من خلاله الدور الوظيفي الديني والأمني في آن واحد، خاصة وأن المنطقة كانت تعاني من ويلات الصراع بين قبائلها كقبيلة مسيفه وماتيله، كما أنها كانت تحتل مقدمة أو وسط القرية، وذلك لتحقيق الخصوصية داخلها.

مسجد الجرف	مسجد أولاد طالب	مسجد أولاد العباس
		
مسجد مسيفه	مسجد كريكر	مسجد العيون
		
		

الجدول رقم 03: الصور الجوية للمساجد الريفية بمنطقة جبالة

المصدر: Google Earth

ب-المخطط: يتميز تصميم هذه المساجد بالبساطة حيث اتخذت الشكل المستطيل تقريبا، وتتراوح مقاساتها بين 10 و11م طولا، وعرضها بين 3.89 و4.30م، باستثناء (جامع) مسجد الجرف الذي جاء مخططه العام غير منتظم الشكل، أما بيت صلاته فجاء على شكل مربع.

أما بالنسبة للوحدات المعمارية فتمثلت في بعض الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم، حيث لازالت الأماكن المخصصة لغسل الألواح موجودة في مسجد دار الناصر ومسجد كريكر، كما تضم غرف لمبيت الطلبة الوافدين من أماكن بعيدة، وقد لا تخلو هذه المساجد من العناصر المعمارية، كالمحاريب البسيطة المجوفة مثل: مسجد الجرف والعيون ودار الناصر.

بينما اتسمت بنوع من الطابع الزخرفي الذي يختلف بين الزخرفة بالجص الذي يحمل زخارف ذات اشكال هندسية بسيطة كمسجد أولاد طالب، ومحراب مسجد أولاد العباس الذي تكسوه بلاطات خزفية قوامها زخارف هندسية ونباتية (الجدول رقم 04)، كما تقتصر كل هذه المساجد لعنصر المئذنة وهو أمر طبيعي في مساجد القرى الريفية، والتي قد تعوضها دكة حجرية تتكون من درجة او درجتين لأداء الأذان والتبليغ بدخول وقت الصلاة.

محراب مسجد الجرف	محراب مسجد أولاد طالب	محراب مسجد أولاد العباس
		
محراب مسجد مسيفة	محراب مسجد العيون	محراب مسجد دار الناصر
		

الجدول رقم 04: صورة توضح محاريب المساجد المدروسة
تصوير الباحثة

ج- مواد وتقنيات البناء:

تتمثل مواد البناء في الحجارة الرملية والكلسية كمادة أساسية، موضوعة بطريقة غير منتظمة بالإضافة الى الطين والتراب الممزوج بالتبن كمادة لاحمة، أما التلييس فإننا نجده هو الآخر من نفس المادة وعلى مستويات مختلفة، ويغطيه الجير الأبيض، أو الطلاء الحديث، أما تسقيف هذه المساجد فجعلها من خشب العرعر أو الصنوبر لكثرتة في المنطقة، حيث يتم وضع عوارض خشبية بالشكل الطولي تدعمها اعضاء صغيرة وتملأ بالرامود وطراح النخيل أحيانا.

ونجد التسقيف بطريقة السنبلة مثل مسجد أولاد العباس، وتحمل هذه الأسقف على دعائم خشبية على شكل Y كما سبق الذكر أو حجرية مربعة الشكل.

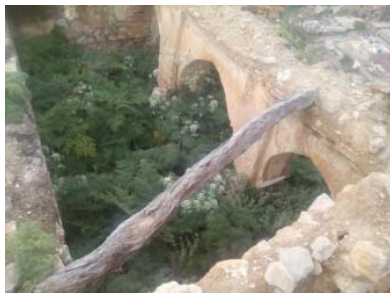
وفي هذا الجدول سوف نوضح مواد البناء المستعملة في كل مسجد من النماذج المدروسة:

اسم المسجد	مادة البناء	مادة التلبيس	مادة التسقيف
مسجد الجرف	الحجارة الرملية - الكلسية الاجر	الملاط الجيري	خشب العرعار
مسجد أولاد طالب	الحجارة	الطلاء	الخشب - الاجر
مسجد أولاد العباس	الحجارة	الطلاء	الخشب
مسجد مسيفة	الحجارة	الملاط الجيري	الاجر - الحديد
مسجد بولجرف كريكر	الحجارة الكلسية		الخشب - القصب - الحديد
مسجد العيون	الحجارة - الاسمنت	الطين الممزوج بالتبن	الخشب
مسجد دار الناصر	الحجارة الكلسية	الملاط الجيري	الخشب

الجدول رقم 05: يمثل مواد بناء المساجد

المصدر: إنجاز الباحثة

ويوضح الجدول التالي صور لتقنيات التسقيف في النماذج المدروسة:

مسجد الجرف	مسجد أولاد طالب	مسجد أولاد العباس
		

مسجد كريك	مسجد مسيفة	مسجد دار الناصر
		

الجدول رقم 06: صور توضح تقنية التسقيف في مساجد منطقة جبالة

المصدر: إنجاز الباحثة

خاتمة:

ضمت منطقة جبالة مجموعة كبيرة من المساجد الريفية، حيث درسنا بعض النماذج منها بهدف تحديد أهم مميزاتها وخصائصها العامة، وبعد الدراسة والتحليل وصلنا إلى بعض النتائج ونلخصها كالآتي:

- غياب الوثائق التاريخية التي تحدد تاريخ انشاء هذه المساجد.
- الموقع الاستراتيجي الهام التي اتخذته هذه المساجد فقد نجدها تتقدم القرية أحيانا، وأحيانا أخرى تتوسطها، ويغلب عليها طابع البساطة من حيث التخطيط ومواد البناء، وتحيط بها بعض الملاحق كبيت الإمام وقاعة تدريس القرآن الكريم ونزل الطلبة وأحيانا تتفصل عنها.
- تنوعت هذه المساجد بين المساجد العادية والمساجد الجامعة كما يسميها أهل المنطقة، فالمسجد الجامع له خصوصيات، وكان هذا التصنيف حسب الدور الإداري الخاص بكل مسجد كان يدير الاهتمام بالشؤون الإدارية وتوزيع الأوقاف والاحباس على بقية المساجد الأخرى في كل فرع من فروع المنطقة من بينها : مسجد الجرف الذي كان يدعى بجامع ماتيلة حيث كان يوزع الاحباس على مسجد الحواطة الذي لم يتم التطرق اليه لأنه جدد بالكامل وفقد طرازه المعماري الأصلي ، ومسجد الحوانت الذي جدد بالكامل ،وهو الآن عبارة عن مدرسة قرآنية، وجامع العيون الذي كان هو الآخر مسجدا جامعا بالنسبة لأهالي العيون حيث كانوا يتوافدون عليه لأداء صلاة الجمعة والاعياد، وكذا الشأن بالنسبة لمسجد

مسيفة. ولذلك يتضح لنا أنه كان لمنطقة جبالة ثلاثة مساجد جامعة وهي: مسجد ماتيلة (مسجد الجرف)، مسجد مسيفة، مسجد العيون، وكانت هذه المساجد لها أحباس خاصة بها، أما الزائد منها كان يقسم على المساجد الباقية.

- خلو هذه المساجد من المآذن، حيث كانت يصعد المؤذن إلى سطح المسجد أو يقام له سلم حجري يصعده للقيام بالأذان.

- تتميز هذه المساجد بالوحدة المعمارية في مخططها العام باستثناء مسجد الجرف الذي جاء مختلف في طرازه ووحداته وعناصره المعمارية، مما يجعلنا نفتح مجال البحث عن سبب اخلاف تخطيطه ودوافع ذلك النمط المنفرد والمميز.

- هذه المساجد عبارة عن بيوت صلاة بسيطة، والتي تذكرنا ببساطة المسجد النبوي الشريف من خلال تصميمها العام الذي كان عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل، ويحمل سقفه على دعائم خشبية وخلوه من عنصر المئذنة، كما تتسم بالتسقيف الخشبي المسطح.

تبين لنا من خلال المعاينة الميدانية للمساجد بمنطقة جبالة، أنها تعاني من التدهور والانحيار بسبب العديد من العوامل المختلفة: أهمها العامل البشري المتمثل في هجران هذه المساجد وعدم ترميمها واستغلالها من جديد كما هو الحال بالنسبة لمسجد أولاد طالب وأولاد العباس ومسيفه، والعامل الطبيعي الذي ساهم هو الآخر وبشكل كبير في تحطيم هذه المساجد وانحيارها وخاصة أجزاء من جدرانها وأسقفها مثل جامع الجرف والعيون وكريكر.

لذلك يمكن أن نقدم جملة من الاقتراحات عليها تتمثل في الالتفاتة الى العمران الريفي في منطقة جبالة والسعي الى إعادة إحيائه وبعثه وذلك من خلال:

- الدراسات الاكاديمية الجادة لهذه المساجد ومحاولة تأريخها.
- وضع مخطط دائم من أجل ترميمها وصيانتها وإعادة تأهيلها، للحفاظ عليها كموروث ثقافي للأجيال القادمة.

البيبلوغرافيا :

• المصادر :

- عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، دار ابن حزم ،بيروت، لبنان، 1426هـ، 2011م.

• المراجع :

- توفيق بوزناشة ، دليل الجمهورية ، ط1، ج2، ناكوهي ، 2015، ص:135

• الأطروحات :

- محمد رابح فيسة ، ال عمران الريفي في منطقة بني سنوس- تلمسان - دراسة تاريخية أثرية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر 02 ، 2013-2014

• المقابلات الشفوية :

- مقابلة شفوية مع: إمام المسجد يوم: 15-02-2020 على الساعة 11.30 صباحا.
- مقابلة شفوية مع: السيد بودور محمد يوم: 2020/07/02 على الساعة 10 صباحا
- إبراهيم بن عبد المؤمن ، رئيس جمعية روافد للبحث في التاريخ والتراث لبلدية جباله ، 30 جانفي 2015.

• المراجع الأجنبية :

- René Basset, Nedroma Et Les Traras , Emest Lercux , paris, 1901.
- C F J. Canal, "Monographie De L'Arrondissement De Tlemcen", In, B S.G.O , 1888.

• مواقع الانترنت:

- googel earth